Global Transformations and their Implications at the Level of Theorizing in International Relations.

جمال بن مرار
جامعة الجيلاني بوتاغوا، جامعة الجزائر، كلية الحقوق، العلوم السياسية، المخبر الأمن القومي الجزائري:

D.BENMERAR@univ-dbkm.dz

ملخص:
أفزعت التحولات السياسية والدولية جملة من التعقيدات والتغيرات سواء في العلاقات الدولية والبنية السياسية أو في البيئة الإيديولوجية والمنافهامية، إن ظاهرة الأزمات هي إحدىحقائق العلاقات، وعالم اليوم يتميز بالمتغيرات السريعة التي أسفرت على توترات شبه الناتجة عن اختلاف توازن القوى الكبرى، مع سعي القوى الأخرى إلى تحقيق مزيد من الاستقلالية والنمو ما أدى إلى صراعات عنفية وتحولات متعددة توجها وتنبؤات نقشت عن تلك أزمات عالمية وإقليمية محلية متعددة الوجه ذات طبيعة زمنية ومكانية مركبة ومتعددة، راجع إلى تغييرات التأثيرات لعلم الثقافة والدين كمستوى تحليل وتأثيره في العلاقات الدولية وركز على المصطلح والأمن في مقارنتهما، وفي هذا الصدد ربط بين العولمة ووعود الدين من زاويتين: تسارع العولمة وإفرازاتفاورة الاتصالات ربطت الجماعات الدينية في العالم المعاصر، أصبح وحدة متقاربة سياسيا وإقتصاديا واجتماعيا وثقافيا باتت آية من كياناته عرضة لأزمات وأبرزها التغيرات العالمية التي أخلت بسياسات القبول العالمي والإقليمي، أوجب رصدها وتحليل حركتها وانجازاتها و من ثم العمل على التكيف مع المتغيرات وتحريك الثوابت وقوى الفعل المختلفة ذات التأثير السياسي والاقتصادي الاجتماعي وكذلك الثقافي والحضاري.

كلمات دالة: مقارنات، علاقات دولية، تنظير، عوdtype، تحولات.
Abstract:

The Political And International Transformations Have Produced A Number Of Complexities And Changes, Both In International Relations And Political Systems Or In Ideological And Conceptual Structures. The Phenomenon Of Crises Is One Of The Realities Of Relations. The World Today Is Characterized By Rapid Changes That Have Resulted In Various Tensions Resulting From Imbalances Of Major Powers, With The Other Powers Seeking To Achieve Greater Independence And Growth, Which Led To Violent Conflicts And Multi-Oriental Alliances, Resulting In Global Crises, Regional And Local Multi-Faceted Nature Of Time And Spatial Complex And Multiple, Due To The Absence Of Theorists Of The Factor Of Culture And Religion Km The Analysis And Its Impact On International Relations Focused On The Interests And Security In Their Approaches. In This Regard, Globalization And The Return Of Religion Were Linked From Two Angles: The Acceleration Of Globalization And Its Repercussions And The Revolution Of Communication, Where Religious Groups Were Linked In The World; The Contemporary World Became A Politically, Culturally, Any Of Its Entities Has Become Vulnerable To Crises, Most Notably The Global Changes That Have Upset The Balance Of Power, Global And Regional, Necessitated Monitoring And Analyzing Its Movement And Direction, And Thus Working To Adapt To The Variables And Move The Constants And Different Forces Of Action With Political, Economic And Social Influence. Aa, As Well As Cultural And Civilization.

Key Words: Approach, International Relations, Theorizing, Globalization, Transformations.
أمام مستوى التنظير في حقل العلاقات الدولية المتمثل في القصور الحاصل في تفسير الواقع الدولي.
كان سبيا في المراجعة النقدية لمختلف النظريات في العلاقات الدولية.

إشكالية الدراسة: أي مدى ساهمت مختلف النظريات الوضعية وما بعد الوضعية في فهم الواقع الدولي؟

الأسئلة الفرعية:
ما هي التطورات الحاصلة في حقل العلاقات الدولية؟
ما هي انعكاسات الواقع على حقل التنظير في العلاقات الدولية؟

فرضية الدراسة:
التحولات التي طرأت على واقع العلاقات الدولية فرضت إعادة بناء أطر نظرية تilitating
من مستويات ووحدات تحليل قادرة على فهم وتفسير الواقع الدولي؟

أهداف الدراسة:
ينлючب الهدف الأساسي الذي تصب الدراسة لتوصل إليه في محاولة فهم التجاذبات والتطورات الحاصلة في حقل العلاقات الدولية والتي بدورها ستسمح أمام إيجاد نظريات تفسر الواقع الدولي الراهن، وهذا الأفق المهم الغامض هو الذي يبقى يقلقنا نظرا للتحولات التي يشهدها العالم المعاصر.

منهجية الدراسة:
إن تحديد منهج البحث يتوقف على طبيعة الموضوع في حد ذاته، كما يتوقف على الهدف الذي تصب الدراسة للوصول إليه.

المؤسس الأول: طبيعة ومتى التحولات الدولية:
إن التحولات ما بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على مستوى الدولي وتغير المفاهيم، فقد تمتلك طبيعة ومتى التحولات الانتقال من حالة الصراع الايديولوجي إلى التنافس الاقتصادي، فقد تبنا رواة مدرسة ثياسية الايديولوجيا في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، بروز النزاعات والصراعات على المستوى الدولي خاصة الهوية الوطنية وتغير الخارطة الجيوسياسية في أوروبا، ويدعم ذلك التصريح الرئيس للولايات المتحدة الأمريكية "جورج بوش" أثناء أزمة الخليج الثانية "أن

جمال بن مار
نظاما دوليا جديدا بدأ في التشكيل و يقوم على احترام القانون الدولي، وتسهر على حمايته أمم متحدة عالمية
"فهد ساد بأن حرب الخليج الثانية تمثل الحد الفاصل بين نظام قديم و نظام دولي
قيد التشكيل، نظام دولي جديد في إطار إرادة ومصالح وتصرفات الطرف المتصل حيث يلح
"هنري كيسنجر" على أن الولايات المتحدة الأمريكية ستبقى طفلاً في اللعبة الدولية الكبرى، لكن
فقط إذا كانت في موقع يعدها لإعادة صياغة قواعد هذه اللعبة وفق ما ينسجم مع
صالحها.(هنري كيسنجر، 2002، ص7).

"ظروف الدور الولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي الجديد، فقد يتخذ شكل الهيمنة
والمしっかりと المطلقة إنتهاءً من المقومات القوة الاقتصادية والعسكرية والقيمية التي تفرز بما الولايات
المتحدة الأمريكية، أو يكون هذا الدور في صيغة قيادة نظام دولي جديد تساهم في تشتيطه
وتحمل الجزء الأكبر من أعباءه ومسؤولياته مجموعة من الدول تناقلها مع الولايات المتحدة
الأمريكية في القيم والأهداف والنصورات.

إن هذا الوضع الجديد يؤدي إلى إعادة النظر في المقاربات النظرية والتفسيرية للمرحلة
الجديدة ومنها:

- تغيرات البنية - بناء نظام دولي
- تغييرات جوهرية في وحدات ومتغيرات التحليل أي مستوى التحليل في العلاقات الدولية.
- تنازل الدولة عن كثير من وظائفها واختصاصاتها لفواعل داخلية وخارجية وذلك من
أجل تحقيق المزيد من الفعالية والعقلانية في الشؤون الداخلية وتدعم روابط الاعتماد
المتبادل على المستوى الدولي - تمثله مبدأ السيادة.
- إن اتجاه الدولة إلى تحقيق الرفاه الاجتماعي إنعكس على طبيعة ومحتوى السياسة
الخارجية حيث كسر التفوق التقليدية بين الشؤون الداخلية والشؤون الخارجية، حيث أنه
غير ميزان القوة بين ما يسمى بالسياسة العليا - مسائل السياسة الأمنية والسياسة
الدنية - الشؤون الاقتصادية والاجتماعية - لصالح الأخيرة، ومن حيث أنه قلص بشكل
كبير مستوى مراقبة وهيمنة الدولة على المستوى الداخلية والخارجي.

جمال بن مرار
- بروز فواعلها دور في البيئة الخارجية كالشركات المتعددة الجنسيات التي أدت إلى خلق
ملاذ جديد من الاستهلاك وتحول الولاء من الدولة القومية إلى التنظيمات فوق قومية.
- ظاهرة الصراع الإيديولوجي أدى إلى تقليص الدور العسكري، وقد برهنت بعض
النزاعات على عدم ملائمتها القوة العسكرية - بروز الحروب الالتماسية - وذلك لطبيعة
النزاعات في حد ذاتها والأمثلة عديدة منها: الصومال، أفغانستان، العراق، ليبيا،
واليمن.

قد شكّل الرأي العام الداخلي والدولي اعتبارًا آخر في تراجع مكانة المتغير العسكري،
حيث تعرضت الولايات المتحدة الأمريكية إلى عدة اتفاقات بسبب التدخلات
العسكرية في الصومال، ليبيا، العراق، أفغانستان، وذلك بحكم عدم شرعية عمليات
التدخل من جهة وعدم ارتباطها بالملحلج الحيوية لولايات المتحدة الأمريكية.

- هيئة الفكر الواقعي أدى إلى تفعيل العامل العسكري، لتبني نقاش واسع في الأوساط
الأكاديمية والرسمية حول طبيعة العدو الذي يمكن أن يشكل خطرًا على المصالح الحيوية
لولايات المتحدة الأمريكية في القرن الواحد والعشرين.

- أن مسألة العدل بمثابة المكون الرئيسي للنظام الديني الأمريكي الذي من خلاله تم
عملية إضفاء الشرعية على السلوكات وعلى دعم نزعة صناع القرار في الولايات
المتحدة الأمريكية على استعمال القوة بحكم اقتناعهم بضرورة زعامة وهيمنة على
التفاعلات ما بعد الحرب الباردة.

- زيادة أهمية الدور الثقافي والديني أدى إلى ضرورة ملحة، لأن الظروف والمواقف التي
طُورت أفرط في التركيز على أهمية العوامل السياسية والإيديولوجية والعسكرية وأهمت
إلى حد كبير المتغيرات الثقافية والدينية وذلك من خلال أهمية الاعتماد المتبادل بين
المجتمعات التي عجلت بضرورة البحث عن مقارنات والأطر النظرية مناسبة لتفسير
التفاعل والترابط بين الأمم يبدو أن الدولة لا تحكم إلا بنسبية ضئيلة منه، وذلك أن
المسائل الدينية والثقافية انتقلت لتحت حكم مركز الاهتمام في النظام الدولي، وهو ما يفسر
المتلزماً لتوظيف العامل الدينى والثقافي للفواعل الكبرى.
- ظاهرة الانتشار خاصة الأزمات الاقتصادية برهنت على عجز الدول والحكومات عن
التحكم في انعكاساتها، لذلك فإن القوة لم تعد موزعة بين الدول بل هناك قوى وفواعل
أخرى تنقسم معها القوة وعيله ضرورة الاهتمام بهذه الحقيقة عند بناء المقاربات لنشرة تفسير الظواهر.

- إن مسائل الخلاف والنزاع بين الدول في عدة المسائل هو أن الفواعل غير حكومية لا يمكن أن تتجد من وراءها الفكرة والقومية والعقائدية.

- دور ومكانة المغير الأخلاقي أي الترسيع على ضرورة التنفيذ بالمبادئ الأخلاقية، وقد ساعد على إعادة إحياء هذا الاتجاه نعامة الصراع الإيديولوجي وأخيرا الكتلة الشرقية، مما ساهم في هيمنة مبادئ وقيم النموذج الغربي - عولمة النموذج الغربي - على التفاصلات الدولية، ومما يبرز مسألة الأخلاق في العلاقات الدولية من خلال طرح قضايا: حقوق الإنسان، حقوق الأقلية، الحرب الفردية، الممارسة الديمقراطية وغيرها من القيم التي تعد بمثابة الحدود التي لا يجب تجاوزها في سلوكات الدول الداخلية والخارجية، وهذا الصدد يرى "جورج شولتز" أن الإعلان عن الاستقلال الولايات المتحدة الأمريكية كان بمثابة وضعت وتقديم جمعية من المبادئ والقيم الأخلاقية العالمية.

توجهات العولمة: إن الرغبة في الولايات المتحدة الأمريكية في نشر نظامها الخاص ومبادئها إلى مختلف أنحاء العالم تستقي فقط ومشروعة من المبادئ الأولى لنسق الفكر الأمريكي - البعد البروتستانتي الفرنسي - حيث ساد الاعتقاد لديها أن مبادئها وقيمها الإيديولوجية والعقائدية هي مبادئ الإلحاد لا تخطئ وعلى أساسها بعثت الأمم الجديدة التي استشرتها الله لقيادة العالم إلى مستقبل زاهر.

و رغم الهيمنة الأمريكية على هذا النظام إلاّ أنّه مختلف من حيث الفواعل ومن حيث أسس ومقومات القوة، يرى "ج. جوزيف ناي" في كتابه: "مفارقة القوة الأمريكية": أن القوة في عصر العولمة، الذي تغير الثورة في المعلومات موزعة مثل لعبة الشطرنج بثلاثة أبعاد وهي:

01 الرقعة العليا العسكرية: أحادية القطب تتفوق الولايات المتحدة الأمريكية على جميع الدول.

02 الرقعة الوسطى الاقتصادية: متعددة الأقطاب: الولايات المتحدة الأمريكية + أوروبا + اليابان = 2/3 من الإنتاج العالمي.
الرقعة السفلية للعلاقات فوق قومية: والتي تعبير الحدود بدون أن تسيطر عليها الحكومات فهي موزعة على نطاق واسع بين مجموعة من التنظيمات.

صراع الحضارات: برو أصلح هذا الرجح أن العوامل الحضارية سوف تقيم على التفاعلات الدولية في المستقبل، وأن شكل العالم يتعدد نتيجة تفاعلات بين سبعة أو ثمانية حضارات (Samuel Huntington, 1993, p.66).

إن الاتفاق على معايير وقيم مشتركة لإدارة العلاقات بين المجتمعات، وعقلية وتقيد سلوكيات حكوماتها الخارجية أمر صعب، حتى لو سلمنا بأهمية التحولات التي وقعت في العلاقات الدولية في فترة ما بعد الحرب الباردة، وبضرورة تطوير الأدوات المنهجية والنظرية لفهم حقيقة الأوضاع المعقدة.

المؤخر الثاني: الاختلافات النظرية التكوينية (ما بعد الوضعية)

تتميز المفاوضات النظرية التكوينية بالنسبة (Relativity) في بناءها، والكفاءة في تركيزها على فهم الظواهر السياسية الدولية.

ومن هذه الاتجاهات النظرية ما بعد الوضعية لدينا:

1. النظرية الاجتماعية النقدي: وهي نظرية تنبؤ على التيار الماركسي لاعتمادها على المتغيرات الاجتماعية والثقافية وعلى المادة التاريخية، وفق المنهج الجدلي.

يرى النظرية إمكانية خلق مجتمع ما بعد السيادة الذي يقوم على أسس معيارية وأخلاقيّة وهدف النظرية عقلنة سلوكيات وممارسات الاجتماعية الدولية الهادفة إلى إحداث تحولات عميقة في العلاقات الاقتصادية والثقافية على المستوى الداخلي والخارجي، ومن رواها "ماك هوفمان" وهو من مدرسة فرنكلورت التي ترفض مفهوم الفوضى الدائمة حسب التفسير المدرسة الواقعية.

الملاحظ أن أن الجل المفكرين ليسوا أمريكيين منهم: "هربرت ماركوز", "ماكس هوركيه" "فريدريك هامفس", فقد تبنا الماديات التاريخية وفق المنهج الديالكتيسي - علاقة جدليّة صراعية بين فئات المجتمع- وتحديد طبيعة العلاقات الاجتماعية وأمناخ القوى على أساس عالمي الثقافة واللنغزولوجيّة؛ وعليه هناك اتجاهين يمثلان الاتجاه الماركسي في هذا الصدد وهما:

ا. صنف يركز على مفهوم المادية التاريخية، ويملح هذا الاتجاه كل من: "إنطونيو غرامشي" و"إريك هابسمون".
2. النظرية اللبنانية: تعتبر الجسر الرابط بين الاتجاهات التفسيرية وما بعد وضعية - التعريفية -
وتراجع أصول النظرية اللبنانية إلى الفيلسوف البريطاني "جيوشتاهاوسي" فهو يرى أن العالم
الطبيعي من خلق الله، لكن العالم التاريخي هو من صنع الإنسان. ويعتبر "نيكولاس أوناف" أول
من استعمل مصطلح البناءية في كتابه: "عالم من صنعنا" منتقداً فرضيات وأفكار الواقعيّة
والنور "الكاكسندر واند" الذي لقب بأب البناءية والتي يعتبرها منهج للعلاقات الدولية، ويفترض

مايلي:

- أن الدول هي الوحدات الأساسية للتحليل.
- نذاتانية
- البناءية الأساسية للنظام العالمي على الدول.
- تشكيل هويات ومصالح الدول في إطار نسق متزايد يدخله البناء الاجتماعي ضمن النظام.
- ينظر البنانيين لمقاتلات البناءية، لأنهم حصيلة ذلك الاتصال الاجتماعي الذي يكمل له
- تمايز بعض المعطيات و القيم وتركز البناءية على عصر الهوية كمكانتها جوهريّة بعد
- Identity الحروب الباردة، وكيفية التعامل الهويات مع الطرق التي تستوعبها الدول و تستجيب لمطالبها.

أمثلة ذلك:

- بروز قضايا الأقليات وتقول الصراع: من صراع بين الدول أثناء الحرب الباردة إلى صراع داخل
- الدول بعد الحرب الباردة.
- قضايا الإرهاب وتقول الصراع: من صراع الديني إلى الحروب الباردة إلى حضاراً بعد
- الحرب الباردة.

نستنتج من ذلك: أن صناع القرار يلعبون على أوتار الاحترامات العرقية والثقافية وهو ما يوضح
وجود عادة فواعل ولا سيما واحدة وكثير في النظام الدولي بعد الحرب الباردة; وفهم وإبراز
أفكار ومعتقدات الفاعلين الذي أنتجوا أنفسهم في النزاعات والصراعات الدولية، يرى البنانيين
في اختيار ما يوجد الكريات البليار - وهو عكس التصور الواقعي - للوصول إلى إدراك تصور

جمال بن مراز
معمق بشأن الصراعات بالاعتماد على تأثير الأفكار والوعي الإنساني - حسب البنائية - لأن الواقع الاجتماعي ليس وحدة مادية خارج النوعي الإنساني، لأن كينوهته مرهونة بكينونة البشر.

المحور الثالث: اعكاسات الواقع على حقل التنظير في العلاقات الدولية:

تجلى هذا الانعكاس المذهبي في الصعود المفاجئ للمؤسسات الدينية وانتشار الأصوليات ومراكز الأديان في بعض النزاعات في العلاقات الدولية وحضور الدين بكثافة في الممارسات التنظيرية الثقافية مرحلة ما بعد الحرب الباردة لفهم ديناميكية التفاعل الدولي، وترتب عودة الأديان وإبعاد المقدس في المجتمعات ومنها السياسة العالمية وبرز ظاهرة الدينية وتوزيعها العلمني إلى عوامل متباينة يصعب إدراكها وتحديدها جميعاً، كما يصعب إقامة تفاصل بينها فعودة المقدس لها مداخل متعددة.

حاول تفسيرها:

أ. عودة المقدس تقاس اليوم كردة فعل على الحداثية والمناهضة لها باسم الرجوع إلى المعالي المطلق كأساس أول مبتكريه، فالحدودة - في ظل ردة فعل هذه - مسؤولية عن اجتثاث الجذور الأصلية للوجود الإنساني، أو الجذور الدينية الروحية للإنسان، فالحدودة بما هي ظاهرة للقرن الوسطى وبيئية العقلانية والعلمية جعلت من الإنسان مقاس كل شيء وقلقت الأدوار الإلهية للإنسان وسعت تبعاً لذلك لتعميق من اللاهوت كخطوة أولى لتحريره هو، وبعثت بها الصورة سعت الحداثة لتوسيع مفهوم القدرات الإنسانية لتشمل المتخيل واليوم والعقدة والأسطورة، وبايعت الدين وتم إضفاءه عن ممارسة سلطاته الاجتماعية وتعلقه مع السياسات العالمية. (عساف الرمحي، 2004، ص 89).

ب. النزعة الفكر دنياء التي أصبحت تسير في معظم المجتمعات الإنسانية بفعل أثير البنى الاجتماعية التقليدية للاندماج والتفاعل (العائلة، المجتمعات...) وأزمة منظومة المرجعية على مستوى العالمي سياسياً وإيديولوجيًا وفكريًا، وعليه دخلنا عصر الفكر دنياء - الفرد - بامتياز بحيث أنه كلهما تقدعنا نحو العالمية يصبح الأفراد أكثر أهمية وأكثر قوة، وطغيان الفرد هو ما يبشر بزوال الجماعة، لذلك كان لابد وآمأ اشتداد وطأة الفكر دنياء والإحساس بالوحدة وتفكيك العلاقات الاجتماعية اللجوء والاحتفاء بالذين حيث أصبحت الديانات بشباة أزمة أمام ضغ القلق والخوف، فالناس أصبحوا يشعرون بالضياع ومن الحرم من شبكة العلاقات الاجتماعية التي تعني معنى لوجودهم في هذا العالم، وهذه الحركات الدينية سواء اليهودية أو الإسلامية أو المسيحية
تمبحهم هوية وتعيد تنظيم العلاقات الاجتماعية المقطوعة بينهم وجمعهم مرة أخرى عندما يمارسون الطقوس والشعائر الدينية نفسها. (محمد سعدي، 2006: ص 93).

ت. يمكن تفسير عودة الدين بنهاية الاستقطاب الإيديولوجي بين الشيوعية والرأسمالية كنظام قيم وليس كدول فقط، ويؤكد "جورج قرم" الباحث في الأديان إن اتخاذ الإيديولوجيات العلمانية الكبرى للكسر باختفاء الماركسية فتح الباب أمام عودة الدين كدليل قادر على ملاعى الفرات وتمييز منظور متماسك للشعوب والدول لتحقيق أمنها الاقتصادي والسياسي والاستراتيجي، فمع اتخاذ الفلسفات المادية الكبرى فإن الأحاديس والمشاعر انتهت لأهم الموارد الرمزية التي لا تزال باقية وتتعطى معنى للعالم ومع الأديان التي دائما ما تجب على الأسئلة الكبرى والغامضة والمفتوحة وهو ما كانت

تؤديها الإيديولوجيات (جورج قرم، 2007، ص 55).

ث. عودة الأديان لخلق السياسة العالمية ارتبطت مع غياب الربيع الأخير من القرن العشرين بمحاولة استخدام الدين كأداة لكبح جماح الشيوعية وتفوز الاحتكاد السوفيتي - في تلك الفترة - خاصة بعد الحرب العالمية الثانية في دول العالم الثالث عموماً وفي دول العالم الإسلامي خصوصاً كيديولوجيا علمانية إيجابية الطابع، وفي سبيل ذلك دخلت الولايات المتحدة الأمريكية جهداً كبيراً في دعم المزارع الإسلامية والجماعات الراديكالية في أفغانستان ووصلت بالتالي مع دول أخرى بعض الجماعات المشددة

د. يزعم المفكر الفرنسي "جان براير" وربط بين العولمة وعودة الدين من زاويةين: الأول

هي أنه مع التساعر المالي للعولمة وإفرازات الثقافة ووسائل الاتصال والفضائيات والانتشر والثقافة الإلكترونية والشبكة، فإن الإنسان قد وضع فريدة للقيم المادية والأخلاقية الرقمية وغابت الطبيعة الإنسانية مع الإنسان الثقفي والإنسان الصانع والإنسان الاقتصادي وتم اختزال الجوهر الإنساني في الأبعاد الاستهلاكية المادية وجاءت عودة المفاسد تقدم للإنسان بدءه العائب بفعل آليات العولمة "البعد الروحي الإنسان"، أما الزاوية الأخرى التي ترتبط فيها العولمة بانبثات وعودة الأديان فتمثل في

إن الظواهر الدينية الجديدة لم تزدهر إلا بنمو ثورة الاتصالات حيث ساعدت على

ربط الجماعات الدينية بعضها البعض وأفسحت لها المجال للاستفادة من منتجات ثورة
المعلومات لبث رسالتها إلى أكبر عدد من الجمهور، وقد أدى ذلك لانتشار الأديان خارج معاييرها التاريخية. (فرانك جي تشر، 2004، ص 98).

ترتيب عودة الدين في أحد وجهاتها كذلك بالانفتاح الثقافي بعد الحرب الباردة، إذ يؤكد "برتران بادي" أنه بعد عجز النظام الدولي والإقليمي والنموذج القومي الغربي في تحقيق العلمية بدأت بنيوية النظام الدولي في الحد من الاتجاه نحو التكاملية والسعوي لتحقيق ذاتية، فبدأت أزمة الهويات التي أخذت تزداد شيئا فشيئا حتى بدت من خلاصا التكاملات الدينية دقيقة ومنظمة في منح هذه الهوية معنادا، فاحوية الدينية التي بعد الدين أساسها تكاد تنكسم في عالم اليوم. (برتران بادي، كلوو سموتس، 2009، ص 43).

ويشير "جورج قرم" إلى تنامي الشعور بالتزايد الثقافي في عالم قد بات واضحًا فيه أهمية هذه التماثرات، كذلك الحنين للمجذور الحضاري لدى الثقافات غير الغربية فتبين اتجاهات نحو عودة الأديان لأصولها الأسيوية وإحياء الثقافة الهندوسية في الهند وعودة الأسلمة لأوجه الحياة العالم الإسلامي. (جورج قرم، 2007، ص 70).

و يؤكد "هنتغتون" أن الدين هو العامل الأكثر تميزًا وفصلا بين الناس وفي تأكيده ونجمتهم الهوية وهو في ذلك يتفوق على العرق والانيةات. (صمويل هنتغتون، صدام الحضارات، 1996، ص 77). وهو ما جعل "هنتغتون" يضعه كعامل محوري في تصنيف الحضارات كأقدم العوامل دون التاريخ التي لها دوراً أعمق في إعطاء فوارق بين الشعوب والهويات.

الفرضيات الداعمة للمقارنة الدينية:

الفرضية الأولى: تعظي الأولوية للأسباب السياسية وترى في النمو المتزايد للطلب على الإسلام تعبرًا عن إخفاق الحركة القومية العربية، فالنمو المتواصل لهذه الحركات ارتبط باعتزاز الأفكار القومية العربية وما أدت إليه من تراجع تاريخي في مواقع القوى السياسية التقليدية التي ارتبط اسمها بالتحديث الاجتماعي والعقلاني الحديثة، في هذا السياق يرى "فؤاد عجمي" إن فشل النفط العلماني القومي يعود في جزء أساسي منه إلى الظروف التي تخلق نتائج ما نحو ما بعد الاستعمار مع العرب بإبعاد الدين أو استخدامه لأغراض السلطة، ويرى "فيش" في هذا الاستغلال والفشل أحد العوامل الرئيسية وراء بروز الجماعات المسلحة التي استخدمت الدين الإسلامي ويقول: أن الإسلاموية رفعت على فشل الليبرالية الساذجة التي سارت ثلاثينيات القرن العشرين واشتركت
العالم الثالث التي سادت في السبعينيات، و يُقدم بروز الإسلام كنتيجة لعدم قدرة النخب العلمانية التي خلفت الأنظمة الاستعمارية الأوروبية على تحقيق أمال شعوبها وتطعيمها.

(أشرف عثمان محمد الحسن، الدولة في الشرق الأوسط العربي: دراسة في تنافسات ما بعد الدولة- الأمة، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم العلوم السياسية، جامعة أم درمان الإسلامية، 2009، ص.88).

يربط البعض أيضاً ظهور الأصوليات الدينية الإسلامية بأزمة العقائدية القومية وأزمة التحدي في العالم الإسلامي نجد الباحثين يستخدمون فرضية أن الحركات الإسلامية ما هي إلا نتاج إحباط وضع خطابات القومية والوطنية وهي تمثل بذلك على نحو أكثر تحديداً نقداً للنموذج الذي حاولت الخطابات تأسيسه، أما بكلمة واحدة تنطلق إخفاق مجتمع الحداثة.

الفرضية الثانية: تحلل مسألة الانعكاسات الإسلامية إلى مداخل اجتماعية ترتبط بين نمو الحركات الإسلامية وتفاقم الأزمة الاقتصادية في المجتمعات الإسلامية وتبرز الحركات الإسلامية كرد فعل على التحولات الاقتصادية السريعة، من هذا المنطلق، فإن الصعود الإسلامي يعبر عن تفاقم التنافسات الاجتماعية التي أدت إلى هذه التحولات ونوعاً من الفقاعة النابع عنها. (أشرف عثمان محمد الحسن، الدولة في الشرق الأوسط العربي: دراسة في تنافسات ما بعد الدولة- الأمة، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم العلوم السياسية، جامعة أم درمان الإسلامية، 2009، ص.89).

الفرضية الثالثة: خاصة حالة الصعود الإسلامي بواسطة الجماعات الاراديكالية وجماعات الإسلام السياسي هناك من يرى أن الإعلام العالمي الغربي ساهم في تضخيم وصناعة رموز متطرفة أكبر من حجمها الحقيقي لحاجة الولايات المتحدة الأمريكية لدعو إفراطياً بعد الحرب الباردة، فكان من سوء حظ الإسلام والمسلمين أن يفرض عليهم هذا الدور، خصوصاً أن الولايات المتحدة الأمريكية بعقلانياً البديعة بالأنظمة العربية العثمانية تستطيع ترويج هذه الرموز. (قاسم جسار، صناعة التطرف: مولد واحد أبابد متعدد، مجلة كتابات الإلكترونية، أكتوبر 2004، ص.22).

الفرضية الرابعة: ذات العامل الخارجي تشدد إلى أخرى ذات مفترقة، وهي أن الحملات التي تشن ضد الإسلام بدعوى نشر الديمقراطية في إشارة لسياسات الإدارة الأمريكية في العالم الإسلامي، أسهمت في تعزيز دورة و تعزيز دائرة المؤمنين به، حيث تسبب من ناحية في تمكين المجتمعات الإسلامية المضطهدة بديناها، وخلق دعاية مجانية لتوسيع دائرة المعرفة بالدين الإسلامي.
لدى من يجهله، على الجانب الآخر فان حملة العداء للإسلام في الغرب أدى إلى إقبال كبير على شراء نسخ من القرآن الكريم المترجمة للتعريف على الإسلام مما أدى إلى عملية عكسية باعتناق الكثيرين للإسلام.

هناك مجموعة من الآراء تقوم على العلاقات بين العمليات الاقتصادية ودلالاتها السياسية، فإن "سيرام أمين" يربط ظهور الحركة الإسلامية بمنطق التوسع الرأسمالي "الحركة الإسلامية مرة إخفاق الرأسمالية في الأطراف وتعبر عن فشل" فهو لا ينظر إليها على أنها التعبير الإيديولوجي والسياسي عن فتايا اجتماعية مستقلة فحسب وإنما يلحق بها كل القوى والفئات التي تنتمي بصفات موجدة في ذلك القوى الكوميندوري. (سيرام أمين، 2003 ص67).

أصبحت الحقبة التي ينظر فيها إلى العلاقات الدولية باعتبارها الحل الفعال لعمليات الدولة المستقلة وتفاعالاتها الخارجية قد تراجعت، فالعلاقات الدولية أصبحت جزءًا من اهتمامات لاعبين وفاعلين كثر تختلوا حدود الدول القومية التي لم تعد صالحة في الوقت الراهن للفرضية أساسيتها ومركزتها في التفاعلات السياسية الدولية. (ديتر سنغاس، 2009، ص 85).

هؤلاء الفاعلون الجديد بدأوا التحرك على الساحة الدولية في قضياء مهمة وحساسة في العلاقات الدولية كانت معروفة بفعالية الدولة القومية، وهم اهتمامات متنوعة وتوصيات فكرية عن العالم. وهذه الرؤى ذات تأثير عميق في الاستراتيجيات الدولية وحركة السياسة الدولية، وبات ينظر إلى الفاعلين الجديد على أهم جزء أساسي فاعل لا يمكن تجاوزه في العلاقات والأوضاع الكونية، والإرادة بحضور فاعلين جدد مهمين كانت من تأثيرها تعدد قضايا العلاقات الدولية وتعقدها، فقد كان الاعتقاد الشائع أن بنية العلاقات الدولية التي فاعلتها الدول والمنظمات الدولية تتحدد في قطاعات التفاعل الثلاثة: الاقتصاد الدولي والتجارة الدولية وما يتبعها من نقل السلع والخدمات والاستثمارات، والحروب التي تقع بين الدول ذات سيادة والتبادل الثقافي والاجتماعي بين الدول، ولذا فإن قضاياrelations الدوليات الطفلة اظهرت في شؤون السلام والنزاعات الدولية القانونية والنزاع، لكن نضال الحرب المبادلة التي دفعت الفاعلين الجدد بشكل غير متوقع بقضايا اعتبرت من صلب اهتمامات العلاقات الدولية، فلم تعد اليوم مسألة الأخلاق شأنا فرديا ولا داخليا ولا تدور الأفكار في الشؤون المتعلقة بالقيم المحلية فقط، لكن دخلت الأفكار في قضايا السياسة العالمية، وفي الحرب والسلم والتنمية والفكر والسياسات الخارجية وبرزت كموضوع عامي مفروض في التفاعلات الدولية الواجب مناقشتها.
وبدأ الناشطون الدوليون الجدد في جعل كل من هذه القضايا في صدارة الاهمادات الدولية، هؤلاء الفاعلين الجدد - عبر الوطنيين - اختطفا الأدوار التي كان يقوم بها المجتمع المدني العالمي والدول القوية، أصبحوا بطرقهم وأدواتهم الخاصة فاعلين في بناء أدوية خاصة يعمق في قضايا العلاقات الدولية، هؤلاء الفاعلين يشملون النجومات الفكرية الدولية والمدختلين والمنظمات الدولية غير الحكومية ورجال الأعمال والشركات الاحترافية والشركات المنتمية الجماعات والتحركات الاجتماعية والفاعليين الثقافيين والقادة ذات الكاريزما الدولية. (مارسيل ميرل، ص 51-52).

وأهم هؤلاء الفاعلين، الذين أخذوا لهم أدوية بارزة في العلاقات الدولية، هم الجماعات أو المنظمات الدينية والتي يفضل ضعف الأيديولوجيا والدولة القومية والعولمة كبيرة للذين وفقا إلى فعل التأثير في السياسة الدولية أضحت ذات تأثير نشط، أصبحت معه تشكل تفوقا خطيرا بالنسبة للحكومات والنقاط والسياسات الدولية. (تيمزوم سميث، رؤى في التطور الاجتماعي، ترجمة: سمير الشيكي، القاهرة: سلسلة علم المعرفة، 2005، ص 65).

هذه الجماعات والمنظمات الدينية تعمل في قضايا العلاقات الدولية بطرق متعددة، فهي تعمل كجماعات ضغط سياسى كما في حالة اللوي اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية مثلًا و الذي يعمل على تزROOM السياسة الأمريكية تجاه الصراع مع الفلسطينيين مصلحة ضمان أمن إسرائيل، وفي هذا الصدد تعد التوصيات التي تصدرها اللجنة الأمريكية لجمعيات اليهودية في مؤتمراته السنوية من قبل صناع القرار الأمريكي بمثابة الموجه لسياسة أمريكا جهان السلام في الشرق الأوسط والسياسات المترتبة بقضايا مكافحة الإرهاب. (جوهان ميرشلر، 2001، ص 15).

وعلى نحو ما تفعل أيضا، الجماعات الهندوسية كجماعات ضاغطة باتجاه سياسة النهاد الإقليمية تتجاهكل من باكستان والقضية الكشميرية والنزاع الحدودي الهندي الصيني والتي تعرف هذه الجماعات أعرا مسائل مرتبطة بالعملية الهندوسية لأنها تتعلق بالأرض، ولذلك دائما ما تأخذ اليازارات الهندية المشابهة حساب ردد أفعال هذه الجماعات في أي خطوة تجاه القضايا، كما يمكن النظر إلى الضغط الذي تمارسه الجماعات الإنجيلية في الولايات المتحدة الأمريكية بطريقة مباشرة في قضايا حساسة في السياسة الأمريكية الداخلية والخارجية، أيضا، الجماعات الدينية والمنظمات الدينية تعمل كجماعات تعويض لفرض رؤيتها على العلاقات الدولية انطلاقا من
الجماعات الدينية تمتد أدورها في العلاقات الدولية إلى أبعد من الضغط والتعبئة، حيث تعمل في بعض الأحيان كأطراف مباشرة في صنع السياسة الدولية والعلاقات الدولية وتكون الأحداث الدولية بصيغتها الدينية لذلك تصبح واحدة من أطراف العلاقات الدولية.

تمتلك الجماعات الدينية الثقافية وسائل متعددة تؤثر بما على قضايا العلاقات الدولية سواء بالأموال أو الدبلوماسية ومنظمات الإغاثة ومنظمات العمل في مجال النزاعات، وهناك حتى بعض القادة العالميين يضرون تحت سلطتها الروحية وبالتالي لديهم سلطة التأثير الروحي على توجهاتهم وأفعالهم وسياساتهم.

ففي الولايات المتحدة الأمريكية توجد حركة مسيحية محافظة متتابعة القوة لديها شبكة واسعة من محطات الإذاعة والتلفزيون المسيحية اليمنية المنتشرة في كل أنحاء الدول لديها درجة عالية من التنظيم السياسي الذي أثبتته رداً على هجوم مدرك على القيم التقليدية وعلى مكانة الولايات المتحدة الأمريكية كبلد الررب. (نبيل الحمد، 2006، ص 118).
إن ملء هذه المنظمات والمنظمات بسلاسة هائلة من خلال التطور التقني والعلمي حولت هذه الجماعات إلى فاعلين أكثر حركية وقدرة على تجاوز القوائم والحدود الجغرافية وطرح أنفسها بصورة مباشرة على أجندة العلاقات الدولية التي أخذت تتأثر بأدارتها ومواقفها واستراتيجياتها.

كما أن هذه الجماعات تملكان سلطة الفتوى لتؤثر بما على العلاقات الدولية من خلال توجيه الأحداث السياسة الدولية عبر سلطة الفتوى الدينية التي تطال الاستعانة بالأجنبي أو قضايا الدعم الأمريكي لإسرائيل التي تهدد المقدسات الإسلامية وتنكّه حقوق الأبرياء، كما أن فتاوى تدعم القيام بعمليات حربية واستنشادية ضد مصالح الدول الغربية أو تمتد هذه الفتاوى لتشجيع المقاومة ضد الهيمنة الغربية ومقاطعات لمنطقة، وقد اعتادت بعض الجماعات المسيطرة إطلاق بعض الفتاوى التي أثرت على رؤية بعض القيادات السياسية في العالم لبعض القضايا في السياسات الخارجية، وكمثال على ذلك الولايات المتحدة الأمريكية فقد دعا "بات روبرتسون" الحكومة الأمريكية إلى عدم تقديم أي منح لضحايا إعصار تسونامي في اعتماده عقاباً إضافياً من قبل ما يشكو من فساد في الأرخبيل الكندي، الأمر الذي أثر على تصويت نواب الكونغرس الأمريكي لصالح المساعدات التي كانت الإدارة الأمريكية تتوى تدقيقة كمنح إغاثة للأرخبيل المنكوب وقد كانت مساهمة الولايات المتحدة الأمريكية أقل مما توقعت الحكومة الكندية والتي أثرت على الوضع الإنساني مما دعا بعض الدول والمنظمات الدولية لتبديد القرار الأمريكي.

أصبح من المؤكد أن الجماعات والمنظمات تدّعم ذات سلطة فاعلة وحضور دولي في قضايا العلاقات الدولية مما تمكنها من سلطة تأثير وموارد فضلاً عن الاستراتيجيات في السياسة العالمية، منها مجالات قضايا رئيسية في العلاقات الدولية لتشمل العلاقات الخارجية للدول الكبرى، إلى المؤتمرات العالمية التي تعقدها الأمم المتحدة كترتبات قانونية دولية تخص بعض القضايا ذات الصلة بالدول، كما أنها تدخلت بقوة في الاقتصاد العالمي وأوضاع حقوق الإنسان وقضية التسلح والأمن في العلاقات الدولية.

قضايا التأثير لهذه الجماعات تعددت في العلاقات الدولية فهي أولًا تعمل على تضمين القضايا الدولية بعدًا أخلاقيًا قبلاً يستمد أصوله من الأديان ونصوصها اللاهوتية، بعد الاعتقاد الشائع أن الأخلاقي ليست جزءًا من الشؤون العالمية وترتب فقط بقضايا الحرب والسلم، لذلك رأت بضرورة تدريب السياسات العالمية أو إعادة الاعتبار أخلاقياً لبعض القضايا، وإدخال بعض
المسائل الشخصية في النقاش الدولي رغم عدم أهميتها في الماضي في السياسة العالمية، فالمسائل الدينية كانت وراء اعتبار المسائل الشخصية والأخلاقية ذات جزء من الاستراتيجيات الكونية فقد نالت نصيبا من النقاشات وانعقدت لها ترتيبات دولية رعتها الأمم المتحدة وشملت حيماً من النقاش والتفاوض وكان بارزا فيها الاختلافات الدولية على بعض نصوصها انطلاقا من الثقافة الدينية لكل بلد.

ويرصد خبر السياسة الخارجية الضغط الذي أصبحت تأخيره الجماعات الدينية والثقافية على الدول لتبني سياسات خارجية ذات صيغة تأخذ اعتبارها المسائل الدينية والثقافية، ففي السياسة الدولية توجد دولاً تعتمد على التصورات الدينية والثقافية في سياساتها الخارجية مثل باكستان وإيران والمملكة السعودية والفاتيكان والولايات المتحدة الأمريكية.

المراجع:

- بران غيلون، نقد السياسة و الدين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.


• قاسم جسار، (2004). صناعة النظرف: مولد واحد أبناء، متعدين، مجلة كتاتيب الإلكترونية، أكتوبر.

• مارسيل ميرل، العلاقات الدولية المعاصرة، (ترجمة: سمع نافعة).


• محمد سعد، (2006). مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أمنة الحضارة و ثقافة السلام، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.


• هنري كيسنجر، (2002). هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية.